الموسوعة العالمية لشعوب وثقافات العالم

موسوعة أولى من نوعها في المكتبة العربية للحضارة العالمية

إسماعيل مروة

الأعمال الموسوعية هي من أصعب الأعمال، لأنها تحتاج إلى فرق عمل، وتحتاج تكاليف عديدة، وترتكز على فهم علمي عميق لمعنى التأليف الموسوعي ليتم إنجازه وفق المعايير، ولا تكون إلا عبر مؤسسات أو مغامرة فكرية لصاحب مشروع مهموم بمشروعه. ومن سورية اليوم تخرج موسوعة هي الأولى على المستوى العربي، وهي عربية التأليف، وترتكز على المصادر والمراجع العلمية الموثوقة صدرت بحلة أنيقة ولائقة عن دار التكوين بدمشق للأستاذ الجامعي حسام حسن غازي، وبتقديم للباحث في الحضارات المشهود له الأستاذ فراس السواح.

> من الضرورة أن تكون الموسوعات العلمية تقدم المعلومة دون أحكام نقدية

الموسوعة وأصالتها

عرفنا موسوعات عديدة، بعضها كان مترجماً عن اللغات الأخرى، مثل موسوعة المعرفة التي صدرت مجزأة ثم جمعت في مجلدات وفق تصنيف الموضوعات، وموسوعة قصة الحضارة لول ديورانت التي رصدت قصة الحضارة تاريخياً، واكتفت بالجانب التاريخي، دون أن تخلو من انحياز فكري لأنها صادرة عن تراكم معرفي في مرحلة محددة، وموسوعات أخرى كثيرة حملت اسم الموسوعات، وهي ليست كذلك، لأنها ذات موضوع واحد محدد، وموسوعات عامة ومحيطة مثل الموسوعة العربية التي صدرت في دمشق، وكانت تقصد الاستيعاب والشمول لذلك جاءت من الأهمية بمكان، ومن الفخامة بحيث يصعب اقتناؤها على كثيرين من المهتمين.

وموسوعة شعوب وثقافات العالم الصادرة في دمشق تتمتع بمواصفات عديدة:

١- الأصالة في الإعداد والتأليف بين المواد، والدكتور غازي الناشر معاً لم يقدّما بكلمة التأليف، وهذا يدل على علمية، فالمادة التي تم جمعها يعود الفضل للدكتور غازي في إعدادها، وترجمتها أحياناً، وتقريب الأفكار والآراء.

٢- الاختصاص: لم يشعّب الدكتور غازي نفسه، وإنما، وهو المتخصص في الآثار، ركز على جانب هو من أهل الخبرة فيه، وهو الحضارة، شعوب وثقافات العالم وقام بتقسيم الكتاب تاريخياً حيث يسهل الرجوع إليه، وفي نهاية كل فقرة أو فصل نجد قائمة من الهوامش والحواشي العلمية بالعربية واللغات الأخرى للإحالة إلى المصادر ما يدلّ على الأمانة.

٣- الوصفية: استخدام المنهج الوصفي التاريخي أبعد المصنف الفاضل عن أحكام القيمة، فجعله علمياً يقدم التاريخ لهذه الشعوب والحضارات دون انحياز لجانب على آخر، وسنجد ذلك واضحاً عند أمثلة عن شعوب وحضارات العرب.

٤- الإخراج العلمي المتقن: تدهشك الموسوعة بإخراجها وطباعتها وورقها وجودة ما فيها، خاصة في وقت لا نجد للطباعة من مكان في البلدان العربية عامة، وفي ظل الحرب والحصار وفقدان المواد الأولية للطباعة.

تقسيم الموسوعة

قسمت الموسوعة إلى ستة مجلدات، وكل مجلد من المجلدات يتناول مرحلة تاريخية.

المجلد الأول اختص بالعصر الحجري القديم، وعنوانه (الصيادون الأوائل) وقد بدأ المجلد الأول بمقدمة للأستاذ الباحث القدير فراس السواح تحدث فيها عن مفهومات الأسطورة والحكاية بخبرته العميقة فقال في بعض المواضع «تشبه بعض الخرافات الأساطير إلى درجة لا تستطيع معها التمييز إلا من خلال معايير القداسة، فالأسطورة قصة مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق أحداثها، وتنتمي إلى منظومة دينية معينة، أما الخرافة فإن راويها ومستمعها يعرفان أنها تقصّ أحداثاً لا تلزم أحداً بتصديقها، وهي تنمو خارج أي منظومة دينية، وبالتالي فلا قداسة لها..».

أما عن الموسوعة فيقول السواح: «فاجأني حجم الكتابة، وشاقني موضوعه الشمولي الغريب عن العقل العربي الراهن الذي لا يهتم إلا بشؤونه الخاصة ولا يتعداها إلى الشأن العالمي».

وعندما يقول صاحب «مغامرة العقل الأولى» في الكتاب والفكرة ما قال، فهذا يعني أننا أمام كتاب مختلف في تناوله وتفاصيله وتأليفه، ولعل أهم ما شدّني في كلام السواح تلك الغرابة التي رآها عن العقل العربي في التصنيف، وهذا ما جعلني أتقدم إلى المقدمة التي وضعها المصنف لكتابه، ليظهر فعلاً أن المؤلف قدّم لكتابه بإيجاز دون أي لافتة أو ادعاء، ويترك للقارئ الذي يحترم عقله مهمة الحكم على الكتاب وما فيه «تتخيل معاً كيف كان عالمنا حين ظهر الإنسان الأول وبكل بساطة كان عالماً خالياً من جميع مظاهر الاستيطان والحدود التي تقيدنا اليوم، إذاً الأرض عذراء، وهي بلا شك المسرح الأول الذي يعدّ الإنسان أهم أبطاله، أما بالنسبة لمجريات الأحداث وتفاصيل قصة الإنسانية، فسوف نتعرف إليها من خلال ما سيرد ذكره من ثقافات عصور ما قبل التاريخ وحضارات العصور التاريخية التي تمّ عرضها».

وبدأ مباشرة في العصور التاريخية: الباليوليت العتيق، الباليوليت الأدنى، العصر الانتقالي بين عصري الباليوليت الأدنى والباليوليت الأوسط، الباليوليت الأوسط، العصر الانتقالي بينه وبين الأعلى الباليوليت الأعلى، المشرق العربي القديم، الباليوليت المتأخر، ثقافات العصر الحجري الوسيط «الميزوليت» في أوروبا، ويبدأ التاريخ من ١٫٩ مليون سنة قبل الميلاد ويحدد الباحث الجهود السابقة والمكتشفات وأماكنها وتواريخها وأسباب التسمية بدقة، وغالباً ما تعود للأماكن ولا يتسع المجال لذكر التسميات وأسبابها.

المجلد الثاني خلال العصرين الحجريين الحديث والنحاسي «المزارعون الأوائل» يتناول في الفصل الأول القارة الآسيوية والفصل الثاني القارة الإفريقية، والفصل الثالث القارة الأوروبية والرابع القارة الأميركية، وفي كل فصل يقف تفصيلياً عند تسميات مرت علينا، ولكننا لم نعرف بدقة إلى أي عصر من العصور، ولماذا هي هناك؟ وفي الكتاب نضع الأشياء أمام حقائقها.

المجلد الثالث: خلال عصري البرونز والحديد، وجاء في ثلاثة فصول، الأول وهو أكبرها يتناول القارة الآسيوية والثاني وادي النيل، والثالث القارة الأوروبية، وثلاحظ ظهور شعوب وحضارات وأماكن، وغياب أخرى ما يدل على الانتقال في الأرض العذراء، وتمحور النشاط في أماكن محددة في كل عصر من العصور.

المجلد الرابع: من نهاية عصر الحديد حتى قيام الإمبراطورية الرومانية في سبعة فصول: الإغريق، الهلنستيون، الإتروسكيون والرومان، تدمر، الأنباط، شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، الحضارة الفارسية.

المجلد الخامس: من قيام الإمبراطورية الرومانية الشرقية حتى الحرب العالمية الأولى، وهذا المجلد صار أقرب تاريخياً وبإمكاننا الحكم عليه أكثر لقرب المعلومات وقربه من منطقتنا، وجاء في ثلاثة فصول: العالم المسيحي، العالم الإسلامي، الهند والشرق الأقصى.

المجلد السادس: خصه للشعوب البدائية وعرض لهم في إفريقيا والهند وأوقيانيا واستراليا وأميركا الهنود الحمر، وفي المناطق القطبية- الشمالية وفي كل فصل من الفصول تناول تسمياتها وتنوعها وحضارتها وخصائص كل نوع من أنواع الشعوب، وجميع ما جاء به موثق بالصور القديمة أو الملونة والخرائط والمصورات.

العلمية وخصائص الموسوعية

من الضرورة أن تكون الموسوعات علمية تقدم المعلومة من دون أحكام نقدية لأنها تقدم المادة العلمية للنقاد والدارسين وهذا ما كان من شأن الدكتور حسام غازي، ولأنه من الصعوبة أن نأخذ أمثلة كثيرة، فإنني آخذ مثالاً واحداً، ونستطيع من خلاله الحكم على مقدار العلمية ٢٤١/٥ يقول: «بنو عباد أسرة حكمت إشبيلية خلال الفترة المؤرخة على نحو ٤١٤ إلى ٤٨٤هـ أسسها أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد المعروف بذي الوزارتين، وهم عرب أقحاح ينتهي نسبهم إلى عطاف بن نعيم من لخم» وكل هذه المملكة يسردها في صفحات من دون أن يدخل في التفاصيل والميول ويختمها بمصادر ومراجع عربية وغير عربية، ما يعزز نظراته الحيادية، وللنقاد بعد ذلك الاستفادة من هذه الموسوعة وأخذ ما فيها من معلومات أوردها.

وفي حديثه عن العصر الإسلامي من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النهاية، لم يتعرض لأي حكم قيمة، ولم يتحدث بانحياز، ولم يدخل في الهوى والعاطفة، بل كان يسرد هذه الوثائق كما سرد كل تواريخه، وبتقدير واحترام وألقاب.

أخيراً: كنت أتابع خطوات هذه الموسوعة مع صديقي الشاعر الناشر سامي أحمد ولم أكن أتوقعها بهذا الشكل حتى أكون صادقاً، لكنني عندما قرأتها وجدتني مضطراً لاستعراضها كلها، وزاد احترامي وتقديري لجهود الباحث الصديق حسام غازي، وللناشر الذي أصدر موسوعة لائقة في زمن صعب، وهذه هي رسالة النشر والكتاب.

من الحضارة الفينيقية

من العصر الحجري

«النُكتة» عنصر ثقافي شفوي نشأت وتطورت عبر الزمن

سوسن صيداوي

النُكتة رفيقة السهرات، ومحل الإصغاء المهتم والمترقب لسماعها، وملُقيها شخص صاحب موهبة، فهو قادر على استقطاب الحاضرين وتشويقهم، وبمجرد أن يقول: «سمعتم آخر نكتة؟» الكل يصمت ليصغي. ولكنّ هذه العادة البشرية والمتداولة ليس لها أصل مجتمعيّ تنتمي إليه، ويجوز أن نقول إنها بشرية الأصل، وهويتها الشخص المحب للطرافة والمرح، وعلى الرغم من أن هناك شخصيات حقيقية أو خيالية عُرفت عبر التاريخ البشري بقدرتها العالية على استحضار النكات، إلا أن أصل النُكتة ولمن تعود هذا موضوع من المستحيل حصره. ولكن موضوعنا اليوم ليس الحديث عن المرجعية بالأصل، بل ما أود التطرق له هو قدرة المزاح والنكات على التنفيس في وقت الأزمات، إضافة إلى أمور أخرى.

إحماضة المجلس

مازالت الأبحاث قائمة في الجامعات الغربية لإيجاد أصل أقدم نُكتة عند البشر، وربما الأمر شديد التعقيد، لأن النُكتة بسيطة وسريعة الانتشار، وعلى الخصوص في أيامنا هذه التي أصبحت فيها وسائل التواصل الاجتماعي والموبايلات تحتل المساحة الأكبر من اهتماماتنا الحياتيّة، وبحسب الإحصاءات المنتديات والمواقع المتخصصة بطرح النُكتة من المواقع المرغوب فيها والأكثر زيارة.

وبنظرة سريعة نحو الزمن الماضي، كان الأدباء يسمونها «إحماضة المجلس»، وحتى كانت تقال في بلاط الحكام والعظماء، وفي كثير من المناسبات كانت سببا في إنقاذ حياة بعض البشر، لأن النُكتة أضفت على نفس الحاكم أو الملك أو الخليفة السرور والغبطة وأبهجت نفسه ودفعته للضحك.

والأمر معروف لمعظمنا بشيوع كتب الطرائف والنوادر، فمنها كتاب «أخبار الحمقى والمغفلين» لأبي الفرج بن الجوزي، وكتاب «البخلاء» للجاحظ، لكن شخصية «جحا» هي الأكثر ارتباطاً بالنُكتة، حتى والدي رحمه الله اشترى العديد من الكتب المختصة بنوادر جحا وأضافها لمكتبته الخاصة، وكان يعلو صوت ضحكه على ما كان يعيشه «جحا» من مواقف، رغم أنني -بالمقابل- في كثير من الأحيان كنت أقول لأبي بأن في شخصية «جحا» الكثير من الغباء والتبّلد بالفكر أو التصرف، لكنّ رأيي لا يمنع من قول الحقيقة، وبأنّ طرافته فيما كان يصادفه من أحداث حياتية مع حماره أو مع الناس المحيطة، هي السبب الذي جعلها خالدة في أجواء الضحك.

النُكتة كاريكاتور شفوي

للنُكتة دور أساس لم ولن يتغير مهما طال الزمن، فهي تقال كي تضفي أجواء الفرح والسعادة بإثارة الضحك خلال الحديث للترويح عن النفس، ولكن كثيراً ما تقول: « شر البلية ما يُضحك» كناية عما يواجهنا من ظروف قاسية وفيها تبلغ المعاناة الكثير، ولكن في أحداثها قد يصادفنا أمر طريف يضحكنا وينسينا الهموم، وبما أن النُكتة هي للترويح عن النفس وللضحك، لطالما جاءت كتصورات كاريكاتورية للواقع، الهدف منها تحطيم للتابوهات أو بمعنى آخر للمحظورات، التي يصعب الحديث عنها.

وما لا يمكن إخفاؤه عبر العصور، بأن النُكتة السياسية مستحبّة بين الشعوب وتلقى الرواج الكبير لأنها المتنفس عما يمرون به من ظروف، لتعبّر عما يحسّوه من مشاعر الإحباط والقهر.

كما لابد من الإشارة إلى أن هناك أنواعاً من النكات تثير جوانب دينية، أو أموراً بعيدة عن العفة المجتمعية وتداولها يعود إلى حريات المجتمعات.

فيها من الأذى والسخرية

في كثير من المجتمعات سواء العربية أم الأجنبية، هناك نوع من النكات يستهدف فئة مجتمعية معينة تعيش في مكان محدد، ففي سورية تكثر النكات التي تستهدف أهل محافظتنا العزيزة حمص، حيث تأتي النُكتة: كان في واحد حمصي، جاء اثنان شباب حماصنة. ولكن هنا تجدر الإشارة إلى أن من أن يبتكر هذه النكات هم أولاد المدينة نفسها، فهم يتمتعون بحس فكاهة قوي، وفكر مبدع وخلاق في خلقها لتتناسب مع كل الظروف وكل المناسبات.

بينما مثلاً في مصر تكثر النكات التي تطول الصعايدة في طرائقهم المعيشية، رغم ما يوحي المظهر العام لمجتمعهم السلطوي، إلا أنهم في الحقيقة هم الأكثر مرحاً وحباً للضحك على الخصوص في مصر.

وأخيراً هنا هذا الأمر فيه جانب سلبي كونه يثير استياء البعض بأنهم محض سخرية على الدوام، في حين الأكثرية يستقبلون هذا الأمر برحابة صدر بل يكونون هم من يقول النكات بين الأصدقاء.

في الطبيعة والأسلوب

وأخيراً بقي أن نتطرق إلى طبيعة النُكتة، فهي في مظهرها بسيطة ولكن تعبيرها الباسم فيه مضامين -متنوعة- قوية كونها المعبر عن آراء كل البشر بغض النظر عن العرق أو الانتماء، فابتكارها فيه الكثير من الذكاء، كما أن أسلوبها اللغوي مرّكب بسلاسة وبساطة، بحيث يمكن للجميع فهمها بل حفظها على الفور ليتم تداولها مباشرة بين الآخرين.

برجك اليوم 12/13

نجلاء قباني

الحمل
حاول أن تعطي من حولك حقوقهم فأنت عادل وتحمل الخير والمحبة لمن حولك فكل جهد جماعي هو جهد منجز تنال منه خيراً وقد تنال مدحاً أو تشجيعاً ومساعدات.
عاطفياً ولادة، أو خطبة أو فرح في أمورك الشخصية أو العاطفية أو تفرح لإنجاز عائلي.

الثور
يوم قد يجعلك منفعلاً ما يجعلني أنبهك لأذى قد تتعرض له ممن حولك بسبب صراحتك فالبوم للعناد في التواصل والحساسيات وتضخيمك لأشياء صغيرة لذلك أنصحك بالهدوء.
عاطفياً المواجهة مع أحد الأشخاص حولك محتملة اليوم فكن حذراً في التعامل مع من حولك.

الجوزاء
تذهب إلى عملك باكراً فهو كثير وقد يطالبك من حولك بإنجاز عمل ليس اختصاصك فلا تناقش تفاصيل عملك دون أن تنهيه لأن قصصاً كثيرة تشغلك عقلياً وجسدياً. عاطفياً أنت في أفضل حالاتك وتحاول إصلاح كل الأخطاء التي ارتكبت في الأشهر السابقة سواء في تواصل أسري أم في أفراح عائلية.

السرطان
التصرف اليوم بعودة يكسبك نقاطاً إيجابية ويكسبك حلفاء جديدين فنشاطك جيد ولكن إذا حاورت من حولك بهدوء وحاولت أن تفهم وجهات نظرهم دون أن تفرض رأيك.
عاطفياً أنت تفكر في أمورك العاطفية والعائلية وتذكر أننا نحتاج لكلام الحب أو الاهتمام للشريك.

الأسد
هذه الفترة للتذمر والامتعاض وقد يضايقك الشعور بعدم الرضا فلا تسمح للهواجس أن تسكنك فالضغوط النفسية قد تتعبك وقد تدمر شعورك بالأمان فأنه مشاكلك تباعاً وبهدوء وروية.
عاطفياً لا تهتم بالتأجيل واحسب ردة فعلك ولا تتسرع في قرارات المفروض أن تأخذها.

العذراء
هذا اليوم الكواكب تدعمك وتساعدك وتمنحك الطاقة والحماس والسفر وتشجع عودتك للجذور أو للأرض أو للوطن أو تقترب من عائلتك والعراقيل إلى زوال.
عاطفياً أنت تمنح المحبة والاهتمام والوقت الكافي واللازم لأمورك العائلية أو للشريك العاطفي وهو شهر جيد لإعلان مهم قد يحمل الفرح إلى حياتك.

الميزان
حاول أن تتعاطى بحكمة في أمورك المالية فقط وأجل إسرافك وخفف نسبة صرفك إلى الحد الأدنى فالأمور المالية تتحسن بشكل ملحوظ ما يوفر لك الهدوء والإحساس بالأمان. تنعم بجو من الشعبية هذه الفترة وخاصة على الصعيد العاطفي والحقيقة أن هذا العام أصلاً هو عام التغيرات العائلية إلى الأفضل.

العقرب
قد يكون اليوم للتغير السريع وقد يكون النمط مفاجئاً ومفرحاً أو تطرأ بعض المعطيات التي تبدل اتجاهاتك لتأخذ قرارات جديدة في حياتك قد تؤثر في خط حياتك لأن اليوم للقرارات.
عاطفياً لا أدري إن كنت قد ارتبطت أو في طريقك فهذا الشهر جيد للارتباط لو كنت ما زلت خالياً.

القوس
تعَوّد على التأني قبل الوثوق في الآخرين وقد تظلم في بعض المواقف أو تتفوه ببعض الكلمات العفوية وخاصة في اجتماع أو وسط صداقات مما يعرضك للخسارة.
عاطفياً ربما تشعر بالحزن أو بالانقباض فاهتم بنفسك وبأصدقائك ولا تصطدم بمن تحب.

الجدي
يوم جيد للتواصل والتفاهم والتنقلات وللأخبار الحلوة يرافق التفاؤل خطواتك فقد تتعرف على شخص جديد أو تلتقي بصديق قديم يحمل لك خبراً عملياً تحاوره وتهتم به.
عاطفياً أنت تهتم بقضايا عامة وتفرح لمحبة الشريك وللعلاقات الاجتماعية التي تسعدك.

الدلو
تصرفات لم تقلها أو لم تفعلها وأنت تكره الظلم أو التدخل أو النصائح قد تعاني تدخل أفراد أكبر منك سناً في عملك وفرضهم أخباراً متعبة أو حزينة.
عاطفياً سوء تفاهم محتمل أو تحريف لبعض الكلام يجعلك تدخل نزاعات لست تحتاجها.

الحوت
استشر محامياً أو مختصاً إذا كنت تفكر بجديد قد يغير حياتك وخاصة أنك تقوم بواجباتك والتزاماتك دون أن تشكو أو تحتج وإذا كنت تريد أن تسوق مواهبك ومهاراتك فأنت في أيام جيدة.
عاطفياً لا أدري إن كنت قد باركت لك بتغيير أو زواج لأحد أحبائك ولكني متأكدة أن الأوضاع جيدة جداً.